نعت المهدي عند الإمامية الاثني عشرية دراسة تحليلية نقدية

د. فواز بن أحمد بن علي رضوان
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك خالد
كلية العلوم والآداب بمحايل عسير
قسم الدراسات الإسلامية
حاصل على الماجستير من جامعة أم القرى بتخصص العقيدة، تحقيق ودراسة كتاب (السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة) لمحمود شكري الألوسي.
حاصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى بتخصص العقيدة، وعنوانها: (دلالة السياق على مسائل الاعتقاد: دراسة تأصيلية تطبيقية).
الإيميل: fradwan@kku.edu.sa

الملخص

موضوع البحث:

نعت المهدي عند الإمامية الاثني عشرية دارسة تحليلية نقدية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان نعت المهدي عند الإمامية في خُلُقه وهيئته ونسبه وخلقته، كما أنه يهدف إلى إظهار مدى الاختلاف والتباين والتضاد في الصفة الواحدة من صفات المهدي من خلال ما ورد في كتب الإمامية الاثني عشرية.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في البحث على المنهج التحليلي النقدي لأقوال الإمامية في صفات المهدي.

أهم النتائج:

خلصت بعد كتابة البحث إلى عدة نتائج منها: عدم اطراد أوصاف الإمام عند الإمامية من جهة خلقته وخُلقِه ونسبه ودينه، وعدم الاطراد يوجب التساقط، كما أن الباحث خلص إلى إمكانية التشكيك في شخصية المهدي عند الإمامية؛ كون فكرة المهدوية متضاربة الأوصاف، وليست واضحة في أبجديات الوصف كاللون والشعر والنسب، ونتاج الفكرتين السابقتين دعوة الإمامية إلى تمحيص أقوالهم في أهم العقائد عندهم، وتنقيح الفكرة من الخلل المعرفي والمنهجي.

أهم التوصيات:

أوصي الباحثين في المجال العقدي بزيادة تحليل أفكار الفرق ومعتقداتهم والاعتماد في نقل الأقوال على ما صدر منهم من تقريرات.

الكلمات المفتاحية:

نعت، المهدي، الإمام، الإمامية، الاثني عشرية، صفات، المهدوية.

Abstract:

Research topic:

The epithet of Mahdi according to the Twelver Imami: a critical analytical study.

Research objectives:

The research aims to explain the description of Mahdi according to the Twelver Imami. This description includes his character, appearance, lineage, and character. It also aims to show the extent of difference, contrast, and contradiction in one characteristic of the Mahdi through what is stated in the books of the Twelver Imami.

Research Methodology:

In the research, the critical analytical approach was utilized to analyze Imami's sayings regarding the attributes of Mahdi.

The most important results:

This research concluded several results, including the lack of uniformity in the descriptions of Mahdi according to the Twelver Imami, in terms of his character, morals, lineage, and religion, and this lack of uniformity requires discontinuation. The researcher also concluded that it is possible to cast doubt on the personality of Mahdi according to the Imami. The fact that Mahdism has conflicting descriptions, and is not clear in the ABCs of description such as color, hair, and lineage. The result of the two previous ideas is a call for the Imami to scrutinize their statements regarding one of their most important beliefs, and to purify the idea from cognitive and methodological defects.

Most important recommendations:

It is recommended that researchers in the religious field should increase the analysis of the ideas and beliefs of the groups and rely on the reports issued by them in conveying statements.

Keywords:

Epithet, Mahdi, Imam, Imamiyyah, Twelvers, Attributes, Mahdism.

المقدمة

الحمد لله وحده، القائل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، القائل: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ"(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة أحسن البلاغ، وأدى الأمانة أعلى الأداء، ونصح للأمة فكان صادقًا أمينًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ختم الله به الرسالات، وأثنى على صحبه بأصدق الكلمات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد، وسلم تسليما مزيدًا؛ أما بعد:

فإن من المعلوم على جهة الاضطرار أنَّ دين الإسلام لا دين بعده، وأن خاتم الأنبياء محمدًا ﷺ لا نبي بعده، وأنه جاء بأتمِّ الشرائع وأكملها وأشملها، كما أنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق وأعلاها وأحسنها.

إذا تقرر هذا، فإن من الأمور العقدية التي جاء بذكرها وبيانها النبي ﷺ هو بيان حال المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، وبيان صفته، وهيئته، وخلقته بأوضح عبارة وأكمل بيان، وجاءت الأحاديث في ذلك متعاضدة، مكتملة مطردة في نعته ووصفه لا اختلاف فيها، ولا اضطراب. لكن المتأمل في فكر الإمامية الذي يرى أصحابه أن مقام المهدوية من أعلى المراتب الدينية، حتى عدَّه البعض مساويًا لمقام النبوة بل أعلى(٢)، وإذا كان كذلك لزم أن يكون نعت المهدي مطردًا لا اضطراب ولا اختلاف فيه كما هو الحال في وصف الأنبياء خُلُقًا، وخَلْقًا، لأن مقام المهدوية عندهم من أهم المطالب وأعلاها فيلزم تبعًا لذلك وضوح صفات المهدي ونعته، وهديه، وسمته، ودلّه.

إذا عُلِمَ كلُّ هذا فإنَّ مما وقعتْ فيه فرقةُ الإمامية الاثني عشرية من الاضطراب هو

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الكبير برقم (٢٦٧٦) (٤٠٨/٤) باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢٢٩/٣) والألباني في تعليقه على كتاب: السنة لابن أبي عاصم، ص: ٢٩.

(٢) جواهر الكلام للجواهري (١٦/ ٨٧)، ومستدرك الوسائل للطبرسي (٤/ ٤٨٤).

الاختلاف في بيان صفة الإمام ونعته، والتي تعتبرُ من الواجبات المعلومة، والأركان التي هي أساس في الإسلام، ومن البديهي إن كانت ركنًا أن تكون صفته معلومة، لأنهم يعتبرون الاعتقاد به أصلًا في الدين؛ ولذا لا بدَّ أن يكونَ ذا نعتٍ بَيّنٍ واضحٍ ثابتٍ معلومٍ مشتهرٍ، خاصة وأنه من أصول الدين عندهم، وأعلى مطالب الديانة كما هو مقرر في كتبهم[١]، بل إن إنكارها عندهم شرٌ من إنكار النبوة[٢]، لكن المتأمل في كُتبِ الإمامية وأقوالهم، وعلى جلالة عقيدة الإمامة عندهم يجد أنَّ نعتَ إمام الزمان والملقب بالمهدي أو الحجة أو القائم مضطربٌ، لا ثبات فيه ولا اطراد، بل أوصافه تناقضتْ في مدلولاتها مع بعضها من جهة.

ومن جهة أخرى نجد أنها خالفت المنقول المنصوص عليه في القرآن وأصول الإسلام من ختم اكتمال الدين وختم النبوة والدعوة لمكارم الأخلاق وهداية البشرية ورحمتهم.

كل ذلك وغيره أمر يستدعي تأمل تلك الأقوال، وتحليل ذلك خاصة إذا علمت أن الإمامة تعتبر من أصول الدين، ولا يصح إيمان عبد عندهم حتى يعرف إمام زمانه[٣].

وهذا الأمر استدعى الباحث أن يبحث عن تلك الأقوال، ويجمع متفرقها من كتبهم، ويتتبع ذلك ويظهر الخلاف في نعت المهدي الذي لم يكن محمود الصفة والدين والهدي والخُلُق، بل هو نقمة على الناس كما يذكرون ذلك في مروياتهم، وقد وسمت البحث بعنوان: (نعت المهدي عند الإمامية الاثني عشرية: دراسة تحليلية نقدية) جمعتُ فيه بعض ما وقفت عليه من أقوال الإمامية في كتبهم، والمتعلقة بنعت الإمام هديًا وخُلُقًا و خَلْقًا، ودينًا ونسبًا، مع تحليل ذلك، واستخراج دلائل الاختلاف بين تلك الأقوال، ونقده، وقد أردت توضيح هذه الفكرة من خلال النقاط التالية:

أولًا: مشكلة البحث.

تظهرُ مشكلةُ البحث من خلال معرفة أن هذا الموضوع متعلق بالاطلاع على كتب الإمامية، ومن المعلوم أن الاطلاع عليها قد يعتبر مشكلة عند الباحثين لاختلاف طريقة

(١) منهاج الكرامة للحلي ص: ٢٧، وحاشية مجمع الفائدة والبرهان للبهبهاني ص: ٢٢.

(٢) الألفين لابن مطهر الحلي ص: ٢٣.

(٣) المقنعة لمحمد بن محمد الملقب بالمفيد ص: ٣٢، والاقتصاد للطوسي ص: ٢٢٦.

تأليفهم للكتب، وتبويب الأبواب، وهذا الاختلاف يجعل الوصول للمعلومة يحتاج إلى فهم طريقة تبويبهم، كما أن هذا البحث سيعالج قضية من أهم القضايا العقدية لدى الإمامية الاثني عشرية وسيجيب عن عدة أسئلة منها:

ما مدى اطراد قول الإمامية في نعت الإمام المهدي خَلْقًا وخُلُقًا؟

ما مدى اتفاق أقوال الإمامية في بيان نسب المهدي المنتظر من جهة أمه؟

هل يمكن لأتباع الإمامية الاهتداء إلى شخصية الإمام المهدي المنتظر من خلال نعوته المنصوص عليها في كتبهم؟

ثانيًا: حدود البحث.

تناول البحث إظهار حالة اختلاف الإمامية عند حديثهم عن نعت خُلُقِ الإمام، وخَلْقه، ودينه، وهديه، ونسبه، مع الاستناد في ذلك إلى ما ورد في كتبهم المعتمدة، ومروياتهم دون الاعتماد على كتب المخالفين لهم، مع تحليل تلك الأقوال والمرويات في كل المسائل التي تعرضت لها في هذا البحث، كما أنه محدود من جهة أخرى في الإمامية الاثني عشرية دون غيرها من فرق الرافضة التي تقول بالإمامة، والبحث كذلك مخصوص في نعت المهدي محمد بن الحسن العسكري، وما أوردته كتب الرافضة من نعوت في نسبه وخلقته وخُلُقِه ودينه.

ثالثًا: أهمية هذا البحث.

تكمن أهمية الموضوع من خلال النظر فيه من عدة جوانب ألخصها في الآتي:

أنه موضوع لم يفرد في مؤلف واحد، وسأذكر حول هذه النقطة مزيدًا من الحديث عند ذكر الدراسات السابقة.

أنه يعالج أساسًا عقائديًّا وأصلًا تقوم عليه مباني الدين كله لدى الإمامية، ومتى نُقِضَ هذا الأصل وكان الاعتماد في نقضه ما دَوَّنه علماؤهم في كتبهم، نُقِضَ ما بعده من عقائدهم.

أنَّ معرفة هذا الخلاف في مسألة عقدية تعتبر من أهم مطالب الدين عندهم أمرٌ ضروريٌّ في دعوة عوام الإمامية، ومحاولة التأثير فيهم، وهدايتهم إلى الاعتقاد الحق.

إذا ظهر الخلاف في نعت الإمام المهدي وهو أصل من أصول الدين عند الإمامية فإمكان ظهور الخلاف في ما هو أدنى من باب أولى وأحرى.

استناد الباحث في ذكر الأقوال إلى ما دونه الإمامية في نعت مهديهم.

رابعًا: أهداف البحث.

يهدف البحث إلى عدة أمور من أهمها:

بيان نعت المهدي عند الإمامية في خُلُقه وهيئته ونسبه وخلقته.

إظهار مدى الاختلاف في الصفة الواحدة، مع بيان التباين في ذلك وقراءة ما جاء في كتبهم من أقوال حول نعت المهدي قراءة تحليلية.

خامسًا: منهج البحث.

يقوم هذا البحث على منهجين:

الأول: استقرائي: حيث أقوم باستقراء أقوال الإمامية في نعت المهدي من كتبهم.

الثاني: تحليلي نقدي: حيث سأقوم بتحليل تلك الأقوال وإظهار مدى التوافق أو الاختلاف فيها، ومدى الاطراد في الأقوال ونقدها.

سادسًا: الدراسات السابقة.

من خلال استعراضي لقوائم أدلة المكتبات الرقمية المبثوثة على الشبكة العنكبوتية، يظهر أنه لم يسبق إفراد هذه المسألة بمؤلَّفٍ مستقل يمكن الاعتماد عليه، وكل ما وجدته هو أقوال متناثرة في بطون الكتب، كما أن الكتب التي ناقشت فكر الإمامية في مسألة نعوت الإمام واستعراض مضامينها خلت في غالبها من بيان وجه الاختلاف في أقوالهم وعدم اطرادها، وخلاصة ما وقفت عليه هو إيراد بعض الأقوال والمرويات في بيان نعت إمام الإمامية دون استقراء كل الأقوال وحصر المرويات والتوسع في إيرادها وبيان وجه الاختلاف فيها، وسأذكر في ما يلي أهم ما وقفت عليه منها وأبين وجه الاختلاف بين ما ذكرته تلك الدراسات وبين البحث الذي أوردته، ومن تلك الدراسات ما يلي:

أولًا: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية: عرض ونقد، للدكتور ناصر بن عبد

الله القفاري، وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبالاطلاع عليها وجدت أنها مكونة من خمسة أبواب وما يرتبط بهذا البحث هو الباب الثالث منه والذي عنون له بـ : (أصولهم ومعتقداتهم الأخرى التي تفردوا بها).

وبالرجوع إلى هذا الباب وجد أنه يختلف في مضمونه عما أنوي الكتابة فيه وإظهاره في هذا البحث، ذلك أن الباحث عند حديثه عن المهدية والفصول الأخرى كالرجعة ونحوها لم يتطرق لذكر نعوت الإمام الخَلْقية والخُلقية ومدى عدم اطراد أقاويل الإمامية فيها، وهذا الفارق مهم جدًّا في مسألة الجدال العقدي مع الفرقة، ولذا فهو بحاجة إلى إظهار وإيضاح للمهتمين بالشأن العقدي.

ثانيًا: المهدي المنتظر عند فرق الشيعة: دراسة نقدية مقارنة، للباحث محمد يوسف محمود صيام، وهذه الرسالة هي من متطلبات استكمال الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من الجامعة الحرة في هولندا، وقد قدمت في عام ١٤٣١هـ-٢٠١٠م وقد حصلت على نسخة منها، وبالاطلاع عليها وجد أنها مكونة من فصلين وما يعنيني منها هو أنه أفرد لهذا الموضوع المبحث الثالث من الفصل الأول وسماه صفات الإمام المهدي عند الإمامية وقسمه إلى مطلبين:

الأول: صفات الإمام المهدي الخَلْقية.

الثاني: صفات الإمام المهدي الخُلُقية.

وبالرجوع إلى ما كتبه الباحث وجدت أنه أفرد الحديث عن جميع صفاته الخَلْقية في صفحتين ونصف، وقصوره كان ظاهرًا من عدم إحاطته بكل الأقوال في نعوت الإمام المهدي من جهة، ومن جهة أخرى كان عرضه بطريقة أوضحت للقارئ اطراد الأقوال في نعوته عند الإمامية، وهذا مسلك خاطئ لا يصح الاعتماد عليه خاصة وأن كتب الإمامية المعتبرة لم يطرد فيها نعت خَلْقِه (وهو ما سأبينه في هذا البحث)، والأمر كذلك في صفاته الخُلُقية فقد قصر الحديث عنه في عدله وكرمه فقط دون ذكر بقية الصفات والنعوت التي تظهر رأي الإمامية في المهدي المنتظر.

ثالثًا: المهديُّ المنتظر بين الواقع والاستيهام، للباحث سعيد محمد بواعنة أستاذ الحديث المساعد بكلية الشريعة بجامعة اليرموك، وهو بحث قُدِّمَ لمؤتمر: التحولات الفكرية في العالم الإسلامي (أعلام وكتب وحركات وأفكار من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثاني عشر)، والذي أقامه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالأردن، في العام ٢٠١٤م)، ولم يتطرق الباحث إلى صفات المهدي كما أوردتها، بل تكلم عن فكرة المهدي عند السنة والرافضة دون استعراض الصفات ونقدها، كما أن سياق البحث أقرب إلى تخصص الباحث وهو السنة وعلومها.

رابعًا: إمامة الإمام المهدي المنتظر في كتابات المستشرقين، للباحث محمد نعمة الصريفي المساعد بقسم علوم الحديث بجامعة الكوفة، وهو بحث محكم في مجلة آداب الكوفة العدد (٥٤) المجلد (١)، الصادرة جمادى الأولى عام ١٤٤٤هـ. ويلاحظ بأن الباحث يدافع عن فكرة المهدوية عند الرافضة الإمامية، ويرد على الشبه التي أوردها المستشرقون، وهو بعيد عن الأمر الذي عزمت الكتابة فيه.

خامسًا: موقف التيارات الشيعية الاثني عشرية من عقيدة المهدي، للباحثة مي بنت صالح الشرار أستاذ العقيدة المساعد بجامعة القصيم، وهو بحث محكم ضمن مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، وبالرجوع إلى هذه الدراسة وُجِدَ أنها توافقت مع بحثي في بيان الاختلاف في مولد المهدي من عدمه، وأما بقية المسائل التي أوردتها فلم تذكر في هذا البحث.

وبعد فإن ما كتب عن نعوت المهدي المنتظر عند الرافضة الإمامية ومدى اطراد ذلك من عدمه يعدُّ مما لم يسبق الكتابة فيه بشكل مستقل حسب اطلاعي، ولذا أردت أن أشارك في هذا الموضوع بكتابة ورقة بحثية حول تلك النعوت.

سابعًا: تقسيمات البحث.

قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث وهي على النحو التالي:

تمهيد: وذكرت فيه مسألتين:

المسألة الأولى: أهمية المهدوية في الفكر الإمامي.
المسألة الثانية: نشأة فكرة المهدوية.
المبحث الأول: نعت خَلْق الإمام المهدي عند الإمامية.
المبحث الثاني: نعت نسبِ الإمام المهدي عند الإمامية.
المبحث الثالث: نعت خُلُق الإمام المهدي عند الإمامية.
المبحث الرابع: نعت دين الإمام المهدي عند الإمامية.
الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

والله أسأل في ختم هذا البحث أن يوفق معدَّه، وقارئه، والمعين عليه، ومُحكِّمهُ، والمسلمين أجمعين إنه سبحانه خير مسؤول، وأرجى مأمول.

تمهيد:

من الأمور المهمة عند الحديث عن المهدوية عند الإمامية الاثني عشرية هو معرفة مكانة فكرة المهدوية في الفكر الإمامي ومبدأ ظهورها ونشأتها، ولبيان ذلك فقد رأيت أن يكون بيان ذلك في مسألتين:

المسألة الأولى: أهمية المهدوية في الفكر الإمامي.

من المعلوم أنَّ مسألة المهدوية من المسائل التي تعتبر ركنًا أصيلًا، فهي أصل الدين كما يقرر العاملي في المواعظ العددية[١]، بل اتفق على ذلك علماء الفرقة كما هو مقرر عندهم في كتبهم[٢]، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عظمة هذه المسألة عند الإمامية حتى أوصلتهم إلى أن كانت سببًا في التفريق بين المسلمين، وجعلها مناط الولاء والبراء، فقال مقررا أثر ذلك الاعتقاد: "وهؤلاء أشدُّ الناس حرصًا على تفريق جماعة المسلمين؛ فإنهم لا يُقرُّونَ لولي أمرٍ بطاعة، سواء كان عدلًا أو فاسقًا؛ ولا يطيعونه لا في طاعة ولا في غيرها؛ بل أعظمُ أُصولِهم عندهم التكفيرُ واللعنُ والسبُّ لخيار ولاةِ الأمور؛ كالخلفاء الراشدين، والعلماء المسلمين، ومشايخهم؛ لاعتقادهم أنَّ كلَّ منْ لم يؤمنْ بالإمام المعصوم

(١) المواعظ العددية للحر العاملي، ص (٧).
(٢) الكشف الوافي في شرح أصول الكافي لمحمد الشيرازي، ص (٢٤٢).

الذي لا وجود له فما آمن"[١]، بل من أعظمُ ما يدلُّ على تعظيم مسألة الإمامة ما ورد عن القاضي النعمان المغربي من اعتبار مَن تولي الأئمة من أهل البيت واعترف بحقهم ودان بإمامتهم، وتقلَّدَ العهد بإمامة إمام زمانه، ووفَّى بما عهده على نفسه، أنه من أهل البيت بالتولي[٢].

فهذه المنزلة (وهي وصفُ المرء أنه من أهل البيت) إنما تُعطَى على جهة التكريم لمن اعترف بالإمامة، وحقق الشروط التي ذكرت آنفًا، وفي هذا دليل على علو هذه المسألة في الفكر العقائدي الإمامي.

ومن الدلائل على أهمية الإمامة عند الإمامية هو جعلهم منصب الإمامة منصبًا إلهيًّا، لا يصحُّ أن يُعيَّنَ فيه إلا من خلال النص عليه من قبل المشرّع، فكما أن اختيار النبي من الله سبحانه فكذلك اختيار الإمام[٣]، وقد نصَّ الشيرازي على إلهية منصب الإمامة حين أورد تعريف الإمامة فقال: "هي: مَنصبٌ إلهيٌّ مجعُولٌ لتطبيقِ شريعةِ السماء..."[٤]. ومما ورد أيضًا من منزلة هذه العقيدة عند الإمامية ما جاء في كتبهم من الأخبار التي تنص على جعل الإمامة من أركان الإسلام، بل هي أحد أركان الإسلام الخمسة، كما جاء الخبر المنسوب إلى أبي جعفر ونصه: (بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية)[٥]، فالحديث ابتداء ليس بحديث مرفوع إلى النبي ﷺ المشرّع، ثم عليه إشكال آخر وهو إخراج الشهادتين من الحديث، ووضع بدلًا منها الولاية. وبطلان هذا الأمر ظاهرٌ، إذ إنه لا يصحُّ ركنٌ من الأركان المذكورة إلا بعد الشهادتين فهي الركن الركين الذي لا يدخل أحدٌ في الإسلام إلا به.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ /٤٨٨).
(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (١٤/٢).
(٣) أصل الشيعة وأصولها لمحمد كاشف الغطاء، ص (٢٢١).
(٤) شرح أصول الكافي لمحمد الشيرازي، ص (٨٠).
(٥) الكافي للكليني (١٨/٢).

المسألة الثانية: نشأة فكرة المهدوية.

من الأمور المتفق عليها عند علماءِ الفِرقِ أنَّ أولَ ظهورٍ لفكرةِ المهدويةِ الإماميةِ إنما كان على يد عبد الله بن سبأ اليهودي، جاء في كتاب المقالات والفرق للقمي أن عبد الله بن سبأ هو أول من أعلنَ القولَ بفرضيةِ إمامةِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتبرأ من أعدائِه، وكفَّرَ مُخالفيه(١).

كما أنَّ النُّوبختي من الإمامية قد قرر مثل هذا في كتابه فرق الشيعة(٢).

وهذا القولُ وإنْ كان أنكرَهُ بعضُ علماءِ الإمامية، كما فعل شيخهم علي آل محسن في كتابه (لله وللحقيقة)(٣)، إلا أنه لا يعتدُّ بقوله؛ لاعتراف عامة أصحاب المقالات من الإمامية والسنة بأن منشأ القول بالإمامة أو المهدوية هو عبد الله بن سبأ، وقد أوردتُ قولَ كبارِ علماءِ المقالات عندهم، فلا عبرةَ لمثل هذا الإنكار الذي كان سببه الهروب من تأصيل يهودية فكرة المهدوية لأجل أنَّ قائلها هو عبد الله بن سبأ اليهودي؛ ولهذا لجأ بعضهم إلى إنكارِ وجودِ شخصيةِ عبد الله بن سبأ التي أثبتها بعض علمائهم كحسين الموسوي في كتابه (لله ثم للتاريخ)، وهو منْ عُلماءِ الإمامية المعاصرينَ الناقدينَ للفكر الإمامي، حيث أثبت فيه حقيقة هذه الشخصية بالقرائن من كتبهم(٤).

المبحث الأول: نعت خَلْقِ الإمام المهدي عند الإمامية.

مما يتأكد في أوصاف الشريعة أنها شريعة هادية، بينة، واضحة، متعاضدة، كاملة، يهتدي بها الإنسان في سيره إلى الله عزَّ وجلَّ، وهذا منصوص عليه في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، قال الله سبحانه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، ووصف الوحي بأنه روح ونور فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ

(١) المقالات والفرق لأبي خلف القمي ص (٢٠).
(٢) فرق الشيعة للنوبختي، ص (٢٢).
(٣) لله وللحقيقة لعلي آل محسن، ص (٤٨).
(٤) لله ثم للتاريخ: كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، ص (١٠).

وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰط مُّسْتَقِيم﴾ [الشورى:٥٢]، ولذا لا تكاد تجد في الشريعة مجالًا للاختلاف والاضطراب التي تجعل تابعيها والسائرين على هديها في حيرة من هذه المسألة أو تلك، إذْ بذلك تُسلبُ عنها وصف الهداية والكمال والبيان وجميع الصفات التي ذكرتها آنفًا، ومن هنا قال الله تصديقا لذلك ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفا كَثِيرا﴾ [النساء:٨٢].

ومن المعلوم المتحتم أن الإمامية يوجبون ذلك في شريعتهم، ولذا جاء عن علمائهم تأييدٌ لما ذكرت من ضرورة أن تكون الشريعة هادية للإنسان حتى لا يقع في الضياع والجاهلية(١).

ومتى كان وصف الشريعة بالهداية أمرًا حتميًا لزم أن تكون مستقيمةً في ألفاظها ومعانيها، مطردة في أقوالها ومضامينها، أضف إلى هذا أنه قد نصَّ الإمامية في كتبهم ومروياتهم على "أن الأئمة الاثني عشر هم الصراط المستقيم، والنجوم الأعلام والعلامات، بل هم نور الله في قلوب المؤمنين"(٢).

إذا تقرر هذا من وجوب هداية الشريعة للبشر، وعلى فرض التسليم لقول الإمامية من جعل الهداية وصفًا للأئمة؛ فإن الموجب ضرورة أن تدلَّ الشريعة على وصف خَلْق المهدي الذي يعتبر هداية للناس بأوصاف حقيقية معلومة لا شك فيها ولا ارتياب، بل لا اختلاف فيها ولا تضاد، حتى لا يدعي المهدية مدعٍ يضل بدعوته الخلائق.

وتأسيسًا على هذا فإن أقوال الإمامية في نعت خلْقِ الإمام لم تشتمل على الهداية، بل اشتملت على وضع الناس في دائرة الحيرة، وذلك من خلال رواية أقوال مضطربة متضادة، يستحيل الجمع بينها بأي صنوف الجمع، مع أنها كما يقال واردة من قبل الأئمة الذين هم أعلام هداية كما قيل، ولا شك أن مما يوردونه في سبب ذلك هو أنهم يقولون بوجوب التقية، وأن الاضطراب في المرويات جاء بناءً على هذه العقيدة، وعلاج هذا التعارض يكون بالأخذ بما خالف العامة واشتهر بين الأصحاب يعني الإمامية كما نص عليه النراقي(٣).

(١) تفسير الميزان للطباطبائي (١/ ٣٦)، وهداية العباد لمحمد رضا الكلبايكاني (١/ ٣).
(٢) الكافي للكليني (١/ ٢٠٦)، وبحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي (٢٣/ ٢٤٦).
(٣) انظر (مستند الشيعة) للمحقق النراقي (١٦/٢٦٩).

ومن هنا بوَّب الصدوق في كتابه علل الشرائع بابًا سماه (العلة التي من أجلها يجب الأخذ بخلاف ما تقوله العامة)، ثم ذكر حديثًا عن أبي عبد الله أنه قال لأحد أتباعه: "أتدري لم أمرتم بالأخذ بخلاف ما تقول العامة؟ فقلت: لا ندري. فقال: إن عليًّا لم يكن يدين الله بدين إلا خالف عليه الأمة إلى غيره"(١).

وفي هذه الروايات دلالة على أن الإمامية تأخذ بالقول الذي فيه مخالفة لقول الأمة وجماعة المسلمين.

وسأذكر الآن شيئًا يبين هذا الاختلاف بين الأقوال في مسائل نعت الإمام وهي على جهة التمثيل لا الحصر وخلاصة ذلك في ما يلي:

أولًا: الاختلاف في ولادته من عدمها.

من أهم المسائل وأوائلها طرحًا الاختلاف الذي ظهر في شخصية المهدي وجودًا وعدمًا، حيث وردت مرويات تدلُّ على أن المهدي شخصية وهمية، وأنه لم يولد أصلا، ومرويات تنص على وجوده وخلقه، ولإثبات هذا الاختلاف والاضطراب أورد قول القمي في كتابه المقالات والفرق الذي قال فيه عن الحسن العسكري أنه لم يُرَ له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر(٢)، وقد أورد هذا القول من علمائهم النوبختي في كتابه فرق الشيعة(٣)، كما عقد شيخهم المفيد بابًا سماه (ذكر وفاة أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، وموضع قبره، وذكر ولده)، ثم قال تحت ذلك مقررًا: "فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته"(٤).

وفي ذات المسألة تجد أن من علماء الإمامية من نعت الحسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر بأن له ولدًا سماه الحسن بن محمد، ولذا بوَّب المجلسي في كتابه بحار الأنوار عُنْوانًا قال فيه (تاريخ الإمام الثاني عشر الباب الأول: ولادته وأحوال أمه صلوات الله

(١) كذا جاء في (علل الشرائع) للصدوق (٥٣١/٢)، و(بحار الأنوار) للمجلسي (٢٣٧/٢)، و(وسائل الشيعة) للحر العاملي (١١٦/٢٧)، و(جامع أحاديث الشيعة) للبروجردي (٢٦٥/١).

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي (١٤/٢).

(٣) فرق الشيعة للنوبختي، ص (٩٦).

(٤) الإرشاد للمفيد (٢/ ٣٣٦).

عليه)[١]، وأورد علي النمازي وهو من علمائهم أقوال علمائهم في تاريخ ولادته[٢]، مما يدلُّ على أنه يرى أن وجود وخلق وولادة المهدي حقيقة يؤمن بها.

وهذا الاختلاف في وجوده من عدمه دليل ظاهر على التناقض الظاهر في هذه الشخصية؛ ولذا نجد أن أحد علمائهم قد أشار إلى أدلتهم ثم نقدها في كتابه (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، ويرى أن التطور في فكرة المهدوية من بحث الشيعة عن ورثة الإمام الحسن العسكري ثم تطور ذلك إلى إثبات ولادة المهدي المزعوم هو من أكبر الدلائل على عدم صحة هذه الفكرة[٣]، كما أنه يرى أن الدليل النقلي الروائي لقصة غيبة المهدي من الأمور التي تظهر فساد هذا الاعتقاد؛ لأنه لم يحدد فيه اسم المهدي وهويته، وهذا من أكبر دلائل النقد[٤]، ولذا يرى نبيل الحيدري ترك هذه المرويات، وعدم الاعتماد عليها[٥]، وقد نص الإمام الذهبي بعد أن ذكر الخلاف في وجوده وعدمه إلى أنَّ اعتقاد الرافضة في المهدي المنتظر لو اعتقده مسلمٌ في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ بل في رسول الله ﷺ لما جاز له ذلك[٦]، وجعل ابن كثير -رحمه الله- حقيقة وجود مهدي الإمامية من الهوس في العقول، إذ لا حقيقة له ولا أثر[٧].

ثانيًا: الاختلاف في لونه.

والاختلاف في هذا بيّنٌ واضح، حيث ورد عن موسى الكاظم وصف المهدي القائم في آخر الزمان وأخبر عنه أنه أسمر اللون[٨]. ولذا قيل في وصفه أن وجهه كالدينار[٩]، وفُسِّرتْ

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٥١ /٧).
(٢) مستدرك سفينة البحار لعلي النمازي (٥٠٣/١٠).
(٣) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه لأحمد الكاتب، ص (٢٢٥).
(٤) المرجع السابق، ص (٢٤٥).
(٥) التشيع العربي والتشيع الفارسي لنبيل الحيدري، ص (٢٣٧).
(٦) تاريخ الإسلام للذهبي (١٦١/٢٠).
(٧) البداية والنهاية لابن كثير (١٧٧/١).
(٨) بحار الأنوار للمجلسي (٨١/٨٣).
(٩) الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني، ص: ٢٥٦.

على أنها بيان لمعنى الرواية السابقة[١]، وتشبيهه بالدينار لأجل لونه[٢]، ومن المعلوم أن لون الدينار لم يكن أبيض كما جاء في وصفه في روايات أخرى.

وقد جاء ما يؤكد هذا الوصف في كتبهم والذي تضمن أنَّ لون مهدي آخر الزمان هو لون الجسم العربي[٣]، كما أن الفيض الكاشاني جزم بأن الغالب على ألوان العجم الحمرة والبياض، وألوان العرب الأدمة والسمرة[٤]، ومن المعلوم أن الأحمر من ألوان الآدميين يقابله الأسود، وبهذا يكون نعت لونه بأنه لون عربي يتفق مع ما جاء من نعته السابق بأنه أسمر اللون.

كما أن الصدوق أورد في كتابه (كمال الدين) بابًا عنون له بمن شاهد القائم ورآه وكلمه وأورد تحت هذا الباب نعته بأن بوجهه سمرة[٥].

ويختلف هذا الوصف مع ما جاء في وصفه من أنه أبيض اللون، مشربٌ بحُمْرة حيث ورد وصف القائم على لسان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو على المنبر حيث ذكر من صفاته بياض لونه، وأنه مشرب بحمرة[٦]. ويؤيد قول الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ما جاء في وصف لون وجهه بأنه كالكوكب الدري[٧]، والدري نسبة إلى الدر لشدة بياضه، وهذا اللون يختلف مع ما ذكر عنه في قول من قال بأنه أسمر اللون، إذ الفرق بين السمرة والبياض ظاهر معلوم.

وأفترض بأنه قد يعترض علينا الإمامية إجابة على هذا الاستشكال بقولهم: إن رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لم يصرح فيها بأنه مهدي آخر الزمان.

(١) مكيال المكارم لمحمد تقي الأصفهاني (١/١١١).

(٢) بشارة الإسلام في علامات المهدي لمصطفى الكاظمي، ص (٢٢).

(٣) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار للنعمان بن محمد المغربي (٣/٣٧٨)، وبحار الأنوار للمجلسي (٥١/٨٠).

(٤) الوافي لمحمد محسن الكاشاني (٢٦ /٧٨).

(٥) كمال الدين وتمام النعمة لمحمد بن علي القمي الملقب بالصدوق ص: ٤٧٥، والرواية في بحار الأنوار للمجلسي (٥٠/٣٣٢).

(٦) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص: ٦٥٣، ومعجم أحاديث الإمام المهدي (٣ /٤١).

(٧) شرح الأخبار للمغربي (٣/ ٣٧٨)، ودلائل الإمامة لمحمد بن جرير بن رستم الطبري، ص: ٤٤١.

قلت: قد رواه أئمة الإمامية تحت أبواب مهدي آخر الزمان القائم، وقبله وبعده مرويات نصت على اسمه بأنه محمد بن الحسن العسكري(١).

وفي هذا دلالة ظاهرة وقرينة حقيقية على أنهم يجعلون المهدي هو نفسه الإمام القائم، ذلك أنه وإن لم ترد في الرواية ذكر اسم المهدي على جهة التحديد، إلا أن رواية هذا الحديث ضمن مرويات الإمام الثاني عشر المنصوص عليه باسمه دليل على أنهما شيء واحد عند الرافضة الإمامية، كما أن عامة علماء الرافضة يجعلون هذه الرواية ضمن النعوت التي يذكرونها عنه(٢).

فإذا ثبت أن هذين القولين صادران من أئمة الإمامية كما يزعمون، وأنه لا يمكن عليهم الخطأ والزلل، وهما نعتان مختلفان للون المهدي، فعليه يكون نعت لون المهدي متعارضًا مضطربًا، والتعارض والاضطراب يوجب التساقط لأن تعارض النعتين مما يدخل معه الشك، إذ لا هداية مع اضطراب وتضاد، خاصة إذا كان ذلك في أعظم مسألة من مسائل الدين عند الإمامية.

وخلاصة هذا الأمر: إما أن يصحح ويصوب الإمامية أحد القولين، مع تكذيب الآخر ونقده، وإما أن يستسلموا بأن فكرة المهدوية غير منضبطة مع أنها من أعظم المسائل، وأركان الدين عندهم، إذْ يستحيل عند الإمامية تصحيح النعتين لأنه سيترتب عليه تجويز الكذب على الأئمة، وفي اعتقاد الإمامية أنهم معصومون حتى من الصغائر(٣).

ثالثًا: الاختلاف في العلامة التي في وجهه.

ورد في كتب الإمامية مرويات تدلُّ على اختلافهم في علامة من علامات وجهه، وإليك بيان ذلك حيث جاء وصفه بأنَّ على خده الأيمن خال(٤)، وفي الغيبة للنعماني رواية أخرى

(١) مسند الإمام علي لحسن القبانجي (٨ /٣٤٢)، وجامع أحاديث الشيعة لحسين الطباطبائي (١٤/٥٦٨).
(٢) شرح الأخبار للمغربي (٣/ ٣٧٨)، ودلائل الإمامة للطبري، ص ٤٤١.
(٣) الألفين لابن مطهر الحلي ص:٢٦٠، والقول بالعصمة من كل شيء هو أحد أصولهم الاعتقادية.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص:٤٦٨، والغيبة للطوسي، ص ٢٦٦.

تنصُّ على أن بوجهه أثرًا[١].

وهذان القولان في وصف العلامة الصحيحة التي في وجه الإمام مضطربة، ذلك أنها تجعل الأتباع في حيرة من صحة الوصف للإمام المهدي قائم الزمان، فالفارق بين الأثر والخال ظاهر لا يمكن معه الجمع بين الروايتين، وبهذا تفتقر الروايات الإمامية من صحتها وهدايتها للبشرية في الوصف الصحيح الذي به يُمَيَّزُ الإمام عن غيره، والعلامة التي تكون في وجه الإمام، الأمر الذي يزيد من الريبة في صحة فكرة المهدوية على اعتقاد الإمامية.

رابعًا: الاختلاف في شامة الظهر.

من النعوت الخَلْقية التي حصل فيها خلاف عند إرادة وصف الإمام المهدي هو التردد في وصف الإمام بأن في ظهره شامة أو شامتين، بل التردد في موضعها ففي الأثر المروي عن أبي عبد الله وقيل أبو جعفر أنه حين وصف المهدي ذكر أن له شامة بين كتفيه من جانبه الأيسر[٢]، فدلت هذه الرواية على وجود شامة واحدة وموضعها بين الكتفين وهي إلى جهة اليسار أقرب.

أما ما ورد في كتاب الوافي للفيض الكاشاني فإنه أوردَ عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– رواية في وصف المهدي وجه الشاهد منها قوله في وصف المهدي القائم أن له بظهره شامتين، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وسلم[٣]. وبهذه الرواية يظهر جليًّا الاختلاف في عدد الشامات في ظهره.

وأغرب من هذا النعت ما جاء في وصف المهدي بأن له علامة في ظهره مثل علائم النبوة، حيث تضمنت الرواية وصفه بأنَّ في كتفه علائم نبوة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أي خاتم النبوة[٤].

ويزداد الأمر حيرة إذا علمت أن المجلسي في (بحار الأنوار) ذكر موضعًا آخر للشامة واردًا

(١) الغيبة للنعماني، ص٢٢٤، ومعجم أحاديث الإمام المهدي للكوراني (٢٣٧/٣).
(٢) الغيبة للنعماني، ص:٢٢٤، وبحار الأنوار للمجلسي (٤١/٥١).
(٣) الكاشاني، الوافي للكاشاني (٤٦٦/٢)، وإعلام الورى بأعلام الهدى للفضل بن الحسن الطبرسي (٢٩٤/٢).
(٤) النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب لحسين النوري الطبرسي (٢٧٥/١).

عن الأئمة المعصومين حيث جعلت الرواية أن للإمام المهدي شامتي:ن إحداهما في رأسه والأخرى بين كتفيه قريبة إلى الكتف الأيسر(١).

ونحن هنا ننادي عقلاء الإمامية بتمحيص الأقوال وبيان الخطأ منها والصواب؛ إذ يستحيل قبول العاقل لفكرة والاعتقاد بها ودعوة الناس إليها وفيها من الاختلاف الواضح الذي تأباه الفطر السليمة.

خامسًا: الاختلاف في نعت الحاجبين.

ورد نعت حاجبي الإمام المهدي بأنهما مشرفان كما في رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢)، ومعنى هذا النعت أن في وسطه ارتفاع من الشرفة(٣). وأما النعت المخالف له فقد ورد في كتب ومرويات الرافضة أيضا نعت حاجبي الإمام بأنه أزجُّ الحاجبين(٤). والأزجُّ الطويل(٥) وفرق بين ارتفاع الحاجبين وطولهما.

سادسًا: الاختلاف في سِنِّه عند خروجه.

مما حصل فيه الاختلاف في مهدي الإمامية هو اختلافهم في سِنِّه عند خروجه، فهناك روايات تذكر أنه سيخرج وهو في سنِّ الشيوخ(٦)، ويؤيد هذه الرواية ما جاء عند الصدوق أنه عند خروجه يكون شيخ السن(٧).

وفي رواية أخرى مغايرة تدل على أنَّ سِنَّه سِنُّ الشباب، حيث ورد أنه سيخرج شابًّا دون الأربعين(٨)، وهذا النعت مختلف كغيره من النعوت التي سبقت، لكن قد يخرج الإمامية هذا

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٤١/٥١).
(٢) الغيبة للطوسي، ص ٢٦٦.
(٣) بحار الأنوار للمجلسي (٤٠/٥١).
(٤) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص: ٤٦٨، والغيبة للطوسي، ص: ٢٦٦.
(٥) معاني الأخبار لمحمد بن علي القمي الملقب بالصدوق ص٨٤.
(٦) إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي (٢٤٠/٢).
(٧) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص (٦٥٢).
(٨) حقيقة الاعتقاد بالمهدي المنتظر لأحمد يعقوب، ص (٢١٢).

الاختلاف بأن سِنَّه في الحقيقة سن الشيوخ ومنظره منظر الشباب كما في بعض الروايات، لكن لا يمكن ذلك إن وجدت التصريح بأن الناس سينكرون عمره عند خروجه ونص الرواية: "لو قد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شابًّا"(١)، وفي ذات الرواية أنه يفتن بذلك الناس ولا يبقون معه، وفي هذا قرينة على أن خروجه بشكل شاب مما يفتتن به الناس ويكون دافعًا لتركه وعدم تصديقه.

سابعًا: الاختلاف في نعت شعره.

ومما حصل فيه الاختلاف وعدم الاطراد من نعوت الإمام ومهدي آخر الزمان الاختلاف في نعت شعره، فقد جاء في بعض الروايات نعت شعره بأنه جعد، ذلك أن الصدوق ذكر حديثا طويلًا في وفاة إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري وخروج ابنه بعدما همَّ جعفر بن علي الصلاة على الحسن، فطلب الابن وهو المهدي المنتظر من عمه التأخر لأنه الأحق بالصلاة على أبيه(٢). وكان من وصف الابن الذي خرج وهو المهدي المنتظر ما قيل عنه بأن بشعره قططًا(٣)، وجاء وصف شعر المهدي بأنه أجعد(٤).

وهذا النعت وهو تجعد الشعر يخالف على جهة التضاد ما جاء في نعت شعر الإمام المهدي قائم الزمان في مرويات أخرى في كتب الإمامية من أنه حسن الشعر، يسيل شعره على منكبه(٥). فهذه صفات ثلاث لشعره: الجعد والقطط والسيلان، ومن تأمل ورجع إلى معانيها في اللغة وجد أن بينها فرقًا يظهر من خلاله اضطراب نعت شعر المهدي، وارجع على سبيل المثال لما ذكره النبهاني حول هذه الصفات(٦).

إذا تقرر هذا فإن ما سبق من نعوت المهدي إنما تدلُّ على الاضطراب في وصف المهدي

(١) الغيبة للنعماني (١٩٤) والغيبة للطوسي، ص (٤٢٠).
(٢) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ص: ٤٧٦، وبحار الأنوار للمجلسي، (٥٠ / ٣٣٢).
(٣) المراجع نفسها وبنفس الصفحات.
(٤) الإمام المهدي واليوم الموعود لخليل رزق، ص (١٥٨).
(٥) شرح الأخبار للمغربي (٣ / ٥٦٥)، والإرشاد لمحمد المفيد (٢ / ٣٨٢)، والغيبة للطوسي، ص: ٤٧٠.
(٦) وسائل الوصول للنبهاني، ص (٦٠).

المنتظر، وإذا أثبتنا تلك النعوت كان ذلك تقريرًا لمبدأ الجمع بين النقيضين، والجمع بينهما محال مطَّرح، ولا تكون الرحمة بالعباد من خلال مرويات متضاربة متناقضة غير مطردة، ولا كانت الهداية للأتباع من خلال مرويات متعارضة، إذْ إن إثباتها جميعًا لا تزيد التابع إلا حيرة وشتاتًا.

المبحث الثاني: نعت نسب الإمام المهدي عند الإمامية.

نعت نسب الإمام المهدي المنتظر عند الإمامية مختلف فيه في جوانب عدة سواء كان نسبه لجده أو أمه، مع العلم بأنه ظهر الاتفاق بين أئمة الإمامية على نسبه لجده إلى حدٍ يمكن القول بأنَّ الخلاف فيه يعتبر يسيرٌ جدًّا، لذا فإني سأقصر الحديث في ذكر عدم اطراد نعت نسب المهدي المنتظر من جهة أمه عند الإمامية، ذلك أن للإمامية أقاويل في نسبه من جهة أمه يظهر من خلالها اختلاف المذهب في أصل من أصول الاعتقاد عندهم، وإليك بعضًا من تلك الأقوال:

مما ذكر الإمامية في تحديد اسم أم الإمام المنتظر ما ذكر من أنَّ اسمها: صقيل حيث ذكر ذلك غير واحد من أئمتهم في كتبهم المعتمدة(١).

وذكر من الأقوال كذلك أنَّ المهدي المنتظر يرجع في نسبه من جهة أمه إلى امرأة تدعى نرجس(٢)، وقد بوب الصدوق وهو من أئمة الإمامية باباً عنون له بقوله: (باب ما روي في نرجس أم القائم عليهما السلام)(٣).

أضف إلى هذه الأقوال قول من قال من الإمامية أنَّ أم القائم هي امرأة تدعى حكيمة(٤). ونسب البحراني إلى أن اختيار المجلسي هو أنَّ اسمها مليكة(٥)، ولم أقف على أنه اختار هذا الرأي فيما اطلعت عليه من كتبه، ولم أجد تصريحًا بهذا الاختيار إلا تبويبًا له في كتابه بحار

(١) الدروس الشرعية في فقه الإمامية لمحمد مكي العاملي (١٦/٢)، وكشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء لجعفر بن خضر كاشف الغطاء (١٠١/١).

(٢) الحدائق الناظرة للبحراني (٤٤٠/١٧)، عيون أخبار الرضا لمحمد بن علي القمي (١/ ٤٨).

(٣) كمال الدين وتمام النعمة للقمي، ص: (٤١٧).

(٤) تاريخ الأئمة للكاتب البغدادي، ص ٢٦.

(٥) الحدائق الناظرة للبحراني (٤٤٠/١٧).

الأنوار عَنْوَنَ له بقوله: (تاريخ الإمام الثاني عشر الباب الأول: ولادته وأحوال أمه صلوات الله عليه)، ثم عقد تحت التبويب عنوانًا ونصه: (فيما رواه بشر بن سليمان في أم الإمام المنتظر)، وأورد تحت هذا العنوان رواية تدل على أن اسم أم الإمام المنتظر هي: مليكة، لكنه لم يصرح بأن هذا هو اختياره الذي يذهب إليه [١]. وربما وقف البحراني على شيء لم أقف عليه، وربما هو مجرد تحليل خلص إليه البحراني من خلال الاطلاع على ما ذكرت من تبويبات للمجلسي الآنف ذكرها.

يضاف إلى هذا أني وقفتُ على كلام له أوردَ فيه قول أحد علمائهم المتضمن صحة قول من قال إن أم الإمام المنتظر اسمها نرجس، ثم عقَّب ذلك بأنه الأشهر عندهم[٢]، وفَرْقٌ بين الأصحِّ والأشهر.

ومما ذكره علماء الرافضة الإمامية حول نسب الإمام المنتظر من جهة أمه ما نُقلَ من أنَّ اسم أم الإمام المنتظر هي: مريم بنت زيد العلوية[٣].

وزيادة على هذا الاختلاف ما ثبت عند المجلسي من إيراد قول من قال أنَّ اسمها خمط[٤]. إلى غير ذلك من الأقاويل الكثيرة المتناثرة في كتبهم المعتبرة.

إذا تقرر هذا فإن بعض علماء الإمامية أراد الجمع بين بعض الأقوال التي سبق إيرادها فقال إن اسمها: مليكة، ولقبها نرجس[٥]، وتخريجه هذا يختلف صراحة مع من صرَّح بأن نرجس هو اسمها كما هو عند الصدوق والحر العاملي[٦]، بل يرى الحسين الخصيبي تصحيح قول من قال: إن اسمها نرجس[٧].

وعلى سبيل التنزل معهم وقبول هذا التخريج في ما يتعلق باسمي مليكة ونرجس، فكيف

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٥١/٧).
(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول لمحمد باقر المجلسي (٦ /١٧١).
(٣) الدروس الشرعية في فقه الإمامية للعاملي (٢/ ١٦).
(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للمجلسي (١٧١/٦).
(٥) الحدائق الناظرة للبحراني (٤٤٠/١٧).
(٦) عيون أخبار الرضا للقمي (١/ ٤٨)، ووسائل الشيعة لمحمد بن الحسن العاملي (٢٤٤/١٦).
(٧) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي، ص: ٣٢٨.

يقال في بقية الأسماء التي وردت عندكم في نسبه من جهة أمه؟!

إنه يجب أن يقال إن عدم اطراد قول الإمامية في نسب الإمام المنتظر من جهة أمه يعطي دلالات تحليلية مهمة ومن ذلك ما يلي:

أولًا: عدم صحة ولادة الإمام المنتظر، وهو أقرب إلى الخرافة لا الحقيقة، حيث صح أنَّ الإمام الحادي عشر عقيم لم ينجب ولدًا، وهذا كان سببًا في إيراد أقوال شتى في ولادته ومن هي أمه، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى هذا بكلام حسن حين قال: "وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدي الرافضة، الذي ليس له عين ولا أثر، ولا يعرف له حِسٌّ ولا خبر، لم ينتفع به أحد لا في الدنيا ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد"(١).

ثانيًا: على سبيل التنزل مع الإمامية واعتبار أنَّ الإمام الحادي عشر غير عقيم، وقد ولد له ولد، وهو الإمام الثاني عشر، فكيف يمكن تحديده إذا خفي علينا نعت نسبه لأمه؟ ذلك أنه من الممكن ادعاء كلٍ من عشيرة نرجس وحكيمة ومليكة وخمط وغيرهم أن المهدي منهم، لأنه يترتب على ذلك بعض الأحكام الأخرى التي تعطى لهم كالميراث والخُمْسِ ونحوها، ولا يصح جعل الأتباع مترددين في نسبه، إذ يجب الجزم بنَسَبِهِ حتى لا يقع الناس في حيرة وشك وظلم.

كما أن احتمالية ادعاء عشائر كل امرأة يعتبر أمرًا محتملًا ومحيرًا خاصة إذا علم أنَّ الصفات والعلامات التي ذكروها للمهدي فيها عدم اطراد في جميع موارده التي ذكر فيها نعته، وإذا اجتمع هذا وذاك كان لزامًا القول بعدم صحة عقيدة الإمام المهدي المنتظر المزعوم عند الإمامية لما ذكرنا ولما سيأتي ذكره من المسببات في المباحث التالية، ولهذا يمكن ختم هذا بالإشارة إلى نقد أحد علمائهم لفكرة المهدي من خلال ما أورده من نقد للمرويات التاريخية لوجود مهدي الإمامية، والذي خلص فيها إلى القول باضطراب الرواية التاريخية لولادة المهدي(٢).

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٨/٢٥٩).

(٢) تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه لأحمد الكاتب، ص (٢٦٠).

المبحث الثالث: نعت خُلُقُ الإمام المهدي عند الإمامية.

من النقاط المهمة في الاعتراض على عقيدة المهدي وبيان عدم صحتها ما جاء في نعت خُلُقِ مهديّهم بأنه ليس رحمة للناس، فمن طالع كتب الإمامية ظهر له ذلك جليًّا في مروياتهم التي أوردوها في كتبهم وفيها نعته بعدة صفات تجعل العاقل ينفر من مهدي هذه صفاته ومنها:

أولًا: أنه ليس رحمة للبشرية.

فقد جاء عند الكليني في الكافي أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بُعِثَ رحمة، وأن القائم بعث نقمة[١]، ويؤكد هذه الصفة ما ذكره القاضي النُّعماني في كتابه الغيبة حيث جاء فيه وصف جعفر لرأي الناس إن عرفوا خُلُقَ الغلظة منه من أن ذلك يجعل أكثرهم لا يحبون رؤيته وأنه لو كان من آل محمد لرحم[٢].

فبينت هذه النعوت أنَّ مهدي الإمامية الذي يَدْعُون الله -عزَّ وجلَّ- بتعجيل خروجه وينتظرونه، لن يكون رحمةً كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- رحمة على البشر.

ونعته بهذه الصفة دليل على عدم اطراد هديه مع هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في التعامل مع الناس والمخالفين على وجه الخصوص، وقد ورد في نعت النبي -صلى الله عليه وسلم- قول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال عنه أيضًا: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهدايات النصوص التي تدعو وتحث المسلم على أن يكون رحمة للخلق سواء على الإنس أو بقية الكائنات متكاثرة متناثرة في بطون الكتب، فلماذا يختلف نعت المهدي المنتظر عند الإمامية عما يجب عليه فعله والاتصاف به من الاهتداء بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوته ورحمته، ويمكن تفسير هذا النعت بما سيأتي في النعت الثاني وهو:

---

(١) الكافي للكليني (٨ /٢٣٣).

(٢) الغيبة للقاضي النعماني ص: ٢٣٨، وبحار الأنوار للمجلسي (٥٢/٣٥٤).

ثانيًا: أنه قتَّال وسفَّاك للدماء.

وهذا النعت يتوافق تمامًا مع نعته بأنه نقمة، لا رحمة منه ترتجى للناس، ولهذا كان قتَّالًا سفَّاكًا للدماء.

وقد حاول المازندراني عند شرحه لهذه الرواية إيجاد المخرج بكونه نقمة على العباد فذكر لذلك تعليلًا مفاده أنه يحكم بعلمه، ولا يقرُّ أحدًا على الباطل، وأنه يقتل الكفرة إلى أن يؤلوا إلى الحق(١).

وليس هذا التعليل بصحيح لأسباب منها:

أن الروايات جاءت بكثرة قتله للعرب، ونحن نعلم أنَّ عامة العرب وغالبيتهم العظمى على الإسلام، وتخريج المازندراني متعلق بقتله الكفار، وإن قيل: إن رأي الإمامية تكفير كل مخالف لهم في المعتقد، قيل ردًّا عليهم: فلم خص العرب من بين الكفار؟ وأكثر القتل في آل محمد صلى الله عليه وسلم؟

أن الإمام أبا جعفر الصادق قد علل عدم حب الناس لرؤيته إن عُرِفَ نعته هذا، فقال معللًا ذلك بما يظهر عليه من قتل الناس، ولم يجعل ذلك مخصوصًا بقتله الكفار، أو من كان على باطل(٢)، فالتعليل الذي ذكره ونص عليه هذا الإمام مقدم على تعليل المازندراني والذي خصَّ فيه القتل بالكفار.

وتأكيدًا لكون نقمته مخصوصة بالقتل فإنه يصح إيراد ما جاء في بصائر الدرجات وغيره أن أبا عبد الله قال: "وإن القائم يسير في العرب بما في الجفر الأحمر قال -أي الراوي- فقلت له جعلت فداك وما الجفر الأحمر؟ قال: فأمَرَّ إصبعه إلى حلقه فقال: هكذا: يعني الذبح"(٣).

ومن المعلوم أن هذا لا يطَّرِدُ مع ما جاء من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- من تحريم قتل المسلم، مما يعتبره العقلاء أمرًا بديهيًّا في التعامل مع البشر، فضلًا أن يكون خلافه

(١) شرح أصول الكافي لمحمد بن صالح المازندراني (١٢/٣١٥).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٥٢/٣٥٤).

(٣) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد لمحمد بن الحسن الصفار، ص١٧٣، وبحار الأنوار للمجلسي (٥٢/٣١٣)، والكافي للكليني (١/٢٤٠).

شريعة للإمام المنتظر، ولهذا نقد حسين الموسوي هذه المرويات لما فيها من دلالة على قتل الأتباع(١).

ثالثًا: العنصرية ضد العرب.

ومما نُعِتَ من خُلُق مهدي الإمامية أنَّه شديد على العرب، وليس له معهم إلا السيف والقتل، وتخصيص العرب بذلك أمر في غاية الغرابة، إذ إن من المعلوم على جهة الحقيقة أنَّ البغض والكره يكون لسبب الديانة، أو سوء الخلق ونحوه من المسببات التي يصحُّ إيقاع الكره على الغير من أجل هذا السبب أو ذاك، أما أن ينصب الكره على العربي ولا يكون شأنه معه إلا القتل دون ذكر مسبب لذلك الكُرْه على جهة الحقيقة؛ فهذه عنصرية مقيتة تنطلق من نعت الإمام المهدي في كتبهم بأنه على العرب شديد ليس شأنه إلا القتل(٢).

وقد نسب إلى أبي جعفر في كتاب الغيبة أنه قال في نعت المهدي المنتظر عند الإمامية بأنه على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف(٣).

ومن العجيب أنَّ العنصرية خصصت بالبدء بقريش فقد ورد في المرويات من نعت المهدي أيضًا أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد(٤).

ويؤيدُّ هذا بما جاء عن أبي عبد الله أن من كلام المهدي قوله: "ما بقي بيننا وبين العربِ إلا الذبحُ، وأومأ بيده إلى حلقه"(٥). وأورد الكوراني عن الصادق أنه إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف(٦).

فإذا كان هذا نعت المهدي القائم لدى الإمامية في عنصريته مع العرب عامة، وقريش

(١) لله ثم للتاريخ لحسين الموسوي، ص (١٠٦).
(٢) مختصر بصائر الدرجات لحسن بن سليمان الحلي، ص:٢١٣، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٣١/٥٢).
(٣) الغيبة للقاضي النعماني، ص: ٢٣٨.
(٤) معجم أحاديث الشيعة لعلي الكوراني (٣ /٣٠٣).
(٥) الغيبة للقاضي النعماني، ص:٢٤١، وبحار الأنوار للمجلسي (٣٤٩/٥٢).
(٦) عصر الظهور لعلي الكوراني، ص: ٧٤.

على جهة الخصوص، ولم يذكر في كتبهم أي مبرر لهذه العنصرية والقتل والسيف، كما أنه عُلِمَ تاريخيًّا مرجع الإمامية الفارسي المجوسي وخصومتهم السابقة مع الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فُهِمَ لأجل ذلك أنَّ العنصريةُ التي ستظهر ضد العرب على ما ذكر من نعت المهدي ستكون لأجل خصومتهم مع الخلفاء الراشدين، واعتقاد خصومهم أحقية الخلفاء الثلاثة بعد رسول الله —صلى الله عليه وسلم– للخلافة، بدلًا من القول بأحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خاصة إذا أضيف لذلك ما جاء من نعت الإمام المهدي المنتظر عندهم بأنه يأتي بدين جديد(١).

وهذه النعوت التي أوردْتُها لمهديِّ الإمامية من كتبهم تخالف ما أوصى به أبو عبد الله حيث ورد عنه أنه قال لأحد مناصريه "أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وإن إمارتنا بالرفق والتألُّف والوقار والتقية وحسن الخلطة...فرغِّبُوا الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه"(٢).

فإن قيل على جهة الإيراد والرد: إن زمن الرفق إنما كان زمن استضعاف أئمتهم؟

قيل: إن الرواية ذمت بني أمية زمن تمكينهم، وعلى هذا لا يصح أن يكون الرفق المقصود في وصية أبي عبد الله متعلقًا بزمن الاستضعاف بل هو متعلق بزمن التمكين والاستضعاف على حدٍ سواء، لأن ذم إمارة بني أمية كانت زمن تمكينهم، فإن صح الذم على بني أمية في تعاملهم زمن التمكين فيصح كذلك على غيرهم.

كما أن من المعلوم أنه جاءتِ الرواياتُ في كتبهم بأنَّ بعض الأئمة لم يكن في قلة من الأنصار بل كان أنصاره كثيرين، ومع ذلك يتعامل بالرفق والتقية، وقد صحَّ عندهم أنه جاء في كتاب علل الشرائع وغيره من كتب الإمامية أن علي بن أبي طالب —رضي الله عنه– قال لعمر رضي الله عنه: "والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق لعلمت

(١) سيأتي في المبحث التالي ذكر المرويات والأقوال من كتبهم والتي تدلُّ على أن مهديهم القائم سيأتي بدين جديد، وشريعة أخرى.

(٢) الخصال لمحمد بن علي القمي، ص: ٣٥٥، ومشكاة الأنوار في غرر الأخبار لأبي الفضل الطبرسي، ص: ١٦٥.

أينا أضعف جندًا وأقل عددًا"[١].

وهذه الرواية تدْحَضُ شبهةَ استضعاف الأئمة التي دائمًا ما يتحدث الإمامية عنها. ولهذا يقال: إما يَطَّرِدَ وصف الأئمة بالضعف أو يَطَّردَ وصفهم بالقوة والمنعة حتى يُبنى على ذلك الحوار والمناقشة.

المبحث الرابع: نعت دين الإمام المهدي عند الإمامية.

من أهم النعوت التي يصح إيرادُها عن المهدي المنتظر عند الإمامية عند استعراض مروياتهم ما يذكره الإمامية من أن القائم سيأتي بدين جديد، وردَ ذلك عن أبي جعفر أنه قال: "يقوم القائم بأمر جديد وكتاب جديد وقضاء جديد"[٢]، وفي لفظ: "يبايعُ الناسَ بأمرٍ جديدٍ، وكتابٍ جديدٍ، وسلطانٍ جديدٍ من السماء"[٣].

والمعروف البديهيُ أنَّ النبوة قد ختمت بخاتم الأنبياء محمد ، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠] وقال مبينًا عدم قبول دين غير دين الإسلام: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال سبحانه مبينًا كمال دين الإسلام وأنه رَضِيهُ للناس: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينا﴾ [المائدة:٣]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدى وَنُور يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنا قَلِيلا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أنَّ الدين قد كمُلَ، وأن النبوة قد خُتمتْ، وأنَّ منْ حَكَمَ بغير ما جاء به الله سبحانه فقد كَفَر، والرافضةُ يزعمون لمهديهم دينًا وكتابًا وقضاءً جديدًا، مع أنهم يقررون

(١) علل الشرائع لمحمد بن علي القمي (١/١٩٢)، والاحتجاج لأحمد بن علي الطبرسي (١/ ١٢٧)، ومختصر بصائر الدرجات لحسن الحلي، ص: ٤٧، وشرح أصول الكافي للمازندراني (٧ / ١٢٢).

(٢) الغيبة للقاضي النعماني، ص: ٢٣٨، وبحار الأنوار للمجلسي (٥٢/٣٥٤).

(٣) بشائر الإسلام في علامات المهدي لمصطفى الكاظمي ص (١٣٥).

ختم النبوة والشريعة والكتاب[١].

وقد حاول أحدُ علماء الرافضة المعاصرين تخريج هذه الرواية بما يُبعدُ الشبهةَ عن نعت دين مهدي الإمامية المنتظر بوصف دينه بأنه دينٌ جديدٌ فجعل المراد بالأمر الجديد هو الحكومة الإسلامية الصالحة العادلة أو خالص الإسلام، والكتاب الجديد القرآن الكريم بشرحه وتفسيره بإملاء رسول الله وخط أمير المؤمنين[٢].

ويعتبر هذا التخريج ضعيفًا جدًّا، ذلك بأنه يَنتقضُ بما جاء في الأثر المروي في كتبهم من أنَّ زُرارةَ سأل أبا جعفر عن القائم من حيث سيرته هل يكون على سيرة محمد صلى الله عليه وآله؟ فأجابه بأنه لا يسير بسيرته[٣].

وجاء في الكافي عن أحد أئمتهم أنَّ القائمَ إذا قامَ وخرج فإنه يحْكمُ بحكمِ داودَ وسليمان[٤]، وقد ذَكرَ هذا الأثر المجلسي في كتابه مرآةُ العقول وَحسَّنه[٥].

ومصداق هذا الخلاف في الدين ما جاء عن أبي عبد الله أنه قال لأحد أتباعه: "أتدري لم أُمرتمْ بالأخذِ بخلافِ ما تقولُ العامة؟ فقلت لا ندري. فقال: إن عليًّا لم يكن يدين الله بدين إلا خالف عليه الأمة إلى غيره"[٦]، وفي هذا صراحة واعتراف على أنهم يَرَونَ أنَّ المهدي سيأتي بدينٍ جديدٍ يخالفُ فيها الأمة، كما أنهم نسبوا في هذه الرواية زورًا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه يخالف الأمة فيما يدين به.

فإذا كان القائم يخالف سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهديه؛ وقد جعل الله-عزَّ وجلَّ- شرطَ محبتهِ والصِّدقَ فيها اتباعُ هديهِ فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيم﴾ [آل عمران:٣١]،

(١) شرح الأخبار للمغربي (٤٧٦/٢).

(٢) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة للشيخ المنتظري (٥٢١/١).

(٣) الغيبة للنعماني، ص: (٢٣٦) وبحار الأنوار للمجلسي (٣٥٣/٥٢)، وهي مروية في غير هذين الكتابين.

(٤) الكافي للكليني (٣٩٧/١).

(٥) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول للمجلسي (٣٠٠/٤).

(٦) علل الشرائع للصدوق (٥٣١/٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٣٧/٢)، ووسائل الشيعة للحر العاملي (١١٦/٢٧).

وامتدح الذين يتبعونه من أهل الكتاب فقال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فأي شيء يُنتظرُ من هذا المهدي الذي يخالف سنة سيد المرسلين؟!

وإن احتجَّ الإماميةُ بعيسى -عليه السلام- حين يضع الجزية عند نزوله في آخر الزمان(١) فعلى هذا جوابان:

الأول: أنَّ خبرَ وضعِ عيسى للجزيةِ قد جاءنا الإخبارُ به من النبي وأقرَّه عليه، ورَضِيهُ منه، ونحن نعلم أنَّ الإقرارَ يُعتبرُ من سنته، ومن هنا يعتبر وضع الجزية في آخر الزمان تشريعًا شرعه النبي ﷺ وأخبر أمته به.

الثاني: أنه ليس معنى وضع الجزية إبطالُها، بل وضعه لها لعدم الحاجة إليها من جهة أنَّ أهل الكتاب يؤمنون به كما في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيما ١٥٨ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدا﴾ [النساء: ١٥٩]، وكلا الإجابتين لها وجه قوي. أما نعت دين المهدي عند الإمامية فلم يرد تأييده وإقراره من قبل النبي ومن هنا يبطل الدين المخالف حتى ولو كانت المخالفة في مسألة واحدة، وكتب الإمامية زاخرة بإيجاب البراءة من كل ما خالف دين الإسلام(٢).

بل مما يدلل دلالة واضحة على تغيير مهدي الإمامية لدين الإسلام هو ادعاء الإمامية أن المهدي يهدم الكعبة وينقل الحجر الأسود إلى الكوفة ويكون هو مصلى المهدي ومصلى كل مؤمن(٣)، مما يعني تغيير القبلة ونقل الحجر الأسود إلى القبلة الجديدة.

---

(١) لفظ الحديث : "والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد" والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب قتل الخنزير برقم (٢٢٢٢) (٣/٨٣).

(٢) المبسوط لمحمد باقر الطوسي (٧/٢٨٨)، وجواهر الكلام للجواهري (٤١/٦٣٠).

(٣) من لا يحضره الفقيه للصدوق، ص (٢٣١).

الخاتمة.

الحمد لله على ما أتمَّ وأنعمَ، والصلاة والسلام على نبي خير الأممِ وبعد:

فإنه وبعد التطواف في ورقات هذا البحث ومسائله أودُّ أن أسجل للقارئ الكريم ما توصلت إليه من النتائج في هذا الموضوع وذلك من خلال سرد النقاط التالية:

أولًا: عدمُ اطَّرادِ أوصافِ الإمام عند الإمامية، لا في صفة خِلْقَتِهِ ولا في خُلُقه، ولا في نسبه، ولا حتى في دينه.

ثانيًا: إذا حصل عدمُ الاطرادِ في تقرير فكرة وعقيدة، فمن الضروري القول بإمكانية التشكيك في شخصية الإمام المهدي عند الإمامية.

ثالثًا: ونتاجُ الفكرتين السابقتين دعوةُ عقلاءِ الإمامية إلى تمحيص أقوالهم في أهم العقائد، وتنقيح الفكرة من الخلل المعرفي المنهجي.

كما إنه وبعد هذا الاستعراض أُوصِي الباحثين في المجال العقدي بزيادة تحليل أفكار الفرق ومعتقداتهم والاعتماد في نقل الأقوال على ما صدر منهم من تقريرات.

والله أسأل في ختم هذه البحث أن أكون وفقت في عرض فكرة نعت المهدي من كتب الإمامية كما وردت في كتبهم، وأن ينفع بما كتبت ودونت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع

١. الاحتجاج، الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب، تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرسان. ط:١، النجف، دار النعمان للطباعة والنشر، ١٣٨٦هـ.

٢. الأصول من الكافي، الكليني، لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، تحقيق: على أكبر الغفاري، ط: ٥، طهران، مطبعة حيدري، ن. دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣هـ.

٣. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، الفضل بن حسن، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط: ١، قم، مطبعة ستارة بقم. ن. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ.

٤. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر المجلسي، ط: ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

٥. تفسير الميزان، للطباطبائي، محمد حسين، د.ط، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ت.

٦. الحدائق الناضرة، البحراني، يوسف، ب.ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، د.ت.

٧. الخصال، القمي، ابن بابويه الملقب بالصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط.١، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ.

٨. دراسات في ولاية الفقيه، للمنتظري، حسين بن علي، ط: ١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٩. رسائل الكركي. الكركي، علي بن الحسين، تحقيق: محمد الحسون، إعداد: محمود المرعشي، ط: ١، قم، ١٤٠٩ هـ. مطبعة الخيام، مكتبة المرعشي النجفي ١٤٠٩هـ.

١٠. شرح أصول الكافي، المازندراني، محمد بن صالح، تحقيق: الميرزا أبو الحسن المشعراني ضبط وتصحيح: علي عاشور، ط: ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ.

١١. شرح الأخبار، المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، ط: ٢، قم، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٤هـ.

١٢. علل الشرائع، القمي، محمد بن علي بن بابويه الملقب بالشيخ الصدوق، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، ط: ١، النجف، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ١٣٨٥هـ.

١٣. الغيبة، النعماني، محمد بن إبراهيم الملقب بابن أبي زينب، تحقيق: فارس كريم، ط: ١، قم، أنوار الهدى، ١٤٢٢هـ.

١٤. الغيبة، الطوسي، محمد بن الحسن، تحقيق: عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، ط: ١، قم، مطبعة بهمن، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.

١٥. كمال الدين وتمام النعمة، القمي، محمد بن علي بن الحسين بن بابوية الملقب بالشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط: ١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٥هـ.

١٦. مختصر بصائر الدرجات. الحلي، حسن بن سليمان، ط: ١، قم، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠هـ.

١٧. مشكاة الأنوار، الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن، تحقيق: علي هوشمند، ط: ١، دار الحديث، ١٤١٨هـ.

١٨. معجم أحاديث الإمام المهدي. العاملي، علي الكوراني، ط: ١، قم، مطبعة بهمن، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.

١٩. منهاج الكرامة في معرفة الأئمة، للحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، ط: ١، قم، مطبعة الهادي، منشورات تاسوعاء ١٣٧٩هـ.

٢٠. هداية العباد، الكبايكي، محمد رضا الموسوي، ط: ١، قم، دار القرآن الكريم، د.ت.

٢١. الهداية الكبرى الخصيبي، الحسين بن حمدان، ط: ٤، بيروت، مؤسسة البلاغ للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ.

٢٢. وسائل الشيعة العاملي، محمد بن الحسن، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط: ٢، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤هـ.